العاصمة عدن في مواجهة الإرهاب

العالم يتابع الإرهاب الذي يضرب عدن بصمت مريب

كيف جعل العالم اتفاق الرياض قميص عثمان وشماعة لتبرير الجرائم؟

الأمناء» كتب/ عبد اللطيف علي:

مرة أخرى يضرب الإرهاب عاصمتنا الجميلة عدن، التي لا تنافسها أي مدينة في العالم، فيما تتعرض له من جرائم إرهابية، وفي تعداد ما يستخلصه منها الإرهاب من الأرواح البريئة الطاهرة.. لقد أضحت هذه المدينة اليوم (بموقعها الاستراتيجي الحيوي، وبمكانتها ودورها وبريقها التاريخي الذهبي في عالم الاقتصاد والنقل والتجارة،) مسرحا مفتوحا أمام الإرهاب بشتى أنواعه ومصادره واختلاف دوافعه ومحركاته، وتتواصل جرائمه فيها بشكل شبه يومي في مسلسل تراجيدي متواصلة حلقاته الدموية وفصوله المأساوية التي يتابعها العالم بصمت مريب، وربما بابتسامات رضى أو سخرية عند البعض الاخر، في بلد لا يزال حتى اللحظة تحت الوصاية الدولية، وأحكام البند السابع. بكل ما يحتمه على الأسرة الدولية من واجبات إنسانية تجاه الشعب في مثل هذه الأوضاع الاستثنائية.

قد لا يستطيع التحالف ولا الرباعية، (المسؤولين المباشرين على الملف اليمني) أن يروا أو يقدروا حجم الخسائر المكلفة ولا التضحيات الجسيمة التي يدفعها الشعب الجنوبي يوميا جراء الجرائم الإرهابية والحرب بوسائلها وأشكالها المختلفة التي يعرفون أكثر من غيرهم خفاياها وتفاصيلها الدقيقة، بغية كسر إرادة الشعب وإجباره على الاستسلام.

ما من شك أن ممثل الأمين العام للأمم المتحدة، إلى جانب دول الرباعية التي حملت على عاتقها المسؤولية عن ملف الحرب في اليمن، تقع عليها مسؤولية أخلاقية وإنسانية وواجبات دولية إزاء الشعب اليمني وبالذات فيما يتعلق بجرائم الحرب والإرهاب باعتبارها جرائم ضد الإنسانية، يجب مكافحتها وتقديم مرتكبيها إلى العدالة الدولية (محكمة الجنايات الدولية). وهذا مالم نسمعه أو نشاهده من قبلهم باستثناء بيانات الإدانة، التي غالبا ما تنتهي بدعوة جميع الأطراف إلى تنفيذ اتفاق الرياض الذي أصبح بالنسبة للبعض عصا موسى، ولكن مع الأسف ليس بنبي كي تؤدي العصا دورها وإعجازها الإلهي.

قميص عثمان

الشيئ الأهم في مثل هذه التصريحات التي تطالب بأهمية تنفيذ اتفاق الرياض لا يكمن فقط في حاجتهم إلى استخدامه كمبرر لكل ما تتعرض له عدن وشعبها من حرب وجرائم إرهابية متواصلة، ولكن أيضا في كونه يعبر عن معرفتهم وقناعاتهم بمن يقف وراء هذه الحرب والإرهاب ودوافعه.

وعوضا عن أداء الواجب الأخلاقي الذي يحتم عليهم في التصدي او المساعدة في التصدي لمثل هذه الجرائم وإخماد بؤرها ومنعها من المصدر، يلقون باللوم على جميع الأطراف وعدم تنفيذ اتفاق الرياض.

لقد جعلوا من اتفاق الرياض قميص عثمان وشماعة لتسويق وتبرير هذه الجرائم.. وبعد كل جريمة ينبري أحد ممثلي هذه الأطراف ليبدي أسفه عن الضحايا وقلقه من تصاعد الأعمال الإرهابية في عدن والمناطق المحررة، ليختتم تصريحه بالقول إن الحل في (تنفيذ اتفاق الرياض)، لتتلقف ذلك قيادة الانتقالي وتعيد إعلان مطالبتها التي لا تنتهي ولا تكل بتنفيذ هذا الاتفاق مجددة التزامها بحشد وتوحيد الإمكانات والطاقات في مواجهة العدو الرئيسي، مؤكدة ومتذرعة أيضاً بالصبر والوقوف إلى جانب التحالف ضد المشروع الحوثي الإيراني، رغم إن هذه القيادة تدرك أكثر من غيرها أن هذا الاتفاق، قد أحدث حالة فرز وتشضي غير مسبوقة داخل المجتمع الجنوبي وقواه الثورية، وجعل من الحرب ضد الانتقالي والشعب الجنوبي مفتوحة على كافة الأصعدة، وأشد ضراوة وأوسع نطاقاً.

قيادة الانتقالي بما قدمته من تنازلات وتراجع عن قرار الإدارة الذاتية وغيرها من القرارات لإنجاح مهمة التوقيع على هذا الاتفاق، الذي جعلت منه الدول الراعية والسلطة الشرعية إطاراً سياسياً محكماً لضبط تحركات وتصرفات وإجراءات الانتقالي ضمن هذا الإطار الضيق الذي لا يستطيع تجاوزه، وهو في الوقت ذاته ميزان ومعيار لتحديد مدى صحة وسلامة تحركات المجلس ونشاطه على الأرض، الأمر الذي جعل قيادة المجلس وقواعده تحت وصاية وإدارة مباشرة وغير مباشرة وأصبحت مسلوبة الإرادة والقرار ومكبلة الفعل.

الاتفاق الذي خضعت بنوده ومضامينه عند التنفيذ لتفسيرات وتأويلات متناقضة، ولم يقتنع صناعه ورعاته بتنفيذ ما جاء فيه بنسخه المتتالية المعدلة، لا يمكن له أن يكون أداة أو وسيلة للحل، لسبب بسيط هو أن الرباعية ودول التحالف أرادوا من هذا الاتفاق المزيد من خلط الأوراق وموضوعا جديدا للصراع، والأهم من ذلك أن يكون أحد أدواتهم للتحكم بخيوط اللعبة ووسيلة ضغط وابتزاز للانتقالي، الذي ضهر حيال هذه الحرب والجرائم المتواصلة ضد الشعب الجنوبي مقيدا بمعايير والتزامات وشروط عمل تم فرضها عليه باسم اتفاق الرياض، ويستمر في فرضها على الشعب الذي استنفذ كامل مخزونه من طاقة الصبر، وأضحى عاجزاً عن تحمل المزيد من هذا القتل والدمار والإرهاب المادي والنفسي والحصار والتجويع.

ولا يبدو أن الوعود (العرقوبية اليومية) التي نسمعها من سفراء وقيادة التحالف وإعلامهم الرسمي، أو تلك التي نسمعها أثناء زيارات الوفود الأممية والدولية إلى عدن ولقاءاتهم بقيادات الانتقالي، وبممثلي الطيف المجتمعي المدني والسياسي في عدن كافية لتخدير هذا الشعب لتحمل سكرات وربما حقنات الموت الرحيم القادم الذي يراد تسويقه لهم في الفصل الاخير من هذه التراجيديا الانسانية.

هذه الوعود حتى وإن افترضنا تصديقها أو حتى الإيمان بها لم تعد كافية لردم الهوة المتنامية بين الصورة والواقع، أو بين الوعود والحقيقة المعاشة يوميا، والتي تكشف في وجهها الأول أبشع صور الوحشية المجردة والحقد الأعمى للعدو الداخلي، فيما يحمل وجهها الآخر السم المخلوط بالعسل الذي تسوقه دول التحالف والرباعية للشعب الجنوبي ولعدن وسكانها بشكل خاص، الذين ما يزالون يدفعون ثمن هذه اللعبة الحقيرة المجردة من الأخلاق.

إرهاب في خدمة الساسة

عندما تبدأ هذه المدينة تتنفس الصعداء وحين تبدأ فيها تروس الحياة المعطلة بالدوران والحركة نحو الأمام سرعان ما يتم استهدافها بجرائم إرهابية، وتتكرر هذه الجرائم أيضا في كل مرة يزور فيها وفد أجنبي أو شخصية سياسية أجنبية عدن أي أنها تتناسب طردياً مع تحسن الحياة والخدمات وارتفاع منسوب التفاؤل الشعبي بإمكانية التغيير نحو الأفضل.

لقد تابعنا باهتمام بالغ زيارة مبعوث الأمم المتحدة لليمن وزيارة وفد الاتحاد الأوربي واخيرا زيارة المبعوث الامريكي إلى عدن ولقاءاتهم بالحكومة وقيادة الانتقالي وبعض ممثلي تيارات الثورة الجنوبية ومؤسسات المجتمع المدني، ومحافظ العاصمة وما أعقبها من تصريحات وما تسرب عنها من معلومات مختلفة كان اخرها بيان وزارة الخارجية الامريكية، وجميعها بما تضمنته من مفردات جميلة ولدت لدى العامة من البسطاء المسحوقين موجة غير مسبوقة من التفاؤل وبنوا عليها الكثير من الآمال والطموحات والرهانات غير المسبوقة في معالجة مشاكل المجاعة والتضخم وانهيار العملة المحلية والحد من مخاطر الأزمات الاقتصادية والخدمية ووضع حد للمعاناة المعاشة في هذه المدينة كمقدمة لفعل دولي يضع نهاية لهذه الحرب ومآسيها الإنسانية.

هذه وغيرها من الأحلام والآمال الشعبية المشروعة التي تم بناؤها على وقع هذه الزيارات ونتائجها وما صدر عنها من تصريحات أو ما يكتب حولها من تعليقات أو تحليلات إعلامية أو سياسية لها علاقة بتفعيل دور الحكومة وبما يقدم من دعم أوروبي ودولي وأممي لمساعدتها في معالجة الأوضاع المتردية في هذه المدينة وفي البلد بشكل عام كل هذه الوعود والأحلام سرعان ما تبخرت وذهبت مع روح الطفل وامه اخر الشهداء وأرواح الأطفال الأبرياء الذين حصدهم الإرهاب أمام بوابة مطار عدن الدولي وعلى نفس الطريق الذي مرت به هذه الوفود عند الوصول والمغادرة.

أجل، لم يكن هناك متسع كاف من الوقت ليتغنى البسطاء بهذه الأحلام والآمال والرهانات المتفائلة التي تم استحضارها في الوعي الباطني ولم تدم طويلا فسرعان ما تحولت إلى كوابيس دامية وجرائم إرهابية وكوارث جديدة تضاف إلى رصيد هذا الشعب، وكأن المبعوث الأممي والأمريكي والوفد الأوروبي قد حملوا مع زيارتهم إلى عدن المزيد من الوقود ليصبوه على جذوات نيرانها المتقدة أصلا، وربما كانت قراءات الجماعات الإرهابية لهذه الزيارات بأنها تصريح لها لفتح المزيد من بوابات الجحيم على عدن وشعبها، وفي هذا ما يكفي لكي ندرك أن صمت الأسرة الدولية على ما تتعرض له عدن من إرهاب قد يكون جزءاً من أدواتها ووسائلها المتعارف عليها في التعامل مع الملف اليمني، وأن نشاط الجماعات الإرهابية يأتي في سياق الأعمال المشروعة بالنسبة لهم، طالما يمتلكون مفاتيح التحكم بهذه الجماعات وتوجيهها ولا تشكل خطراً على شعوبهم أو تهديدا لأمنهم القومي ومصالحهم.

الحرب القذرة التي يتعرض لها الجنوب وعدن بالذات وإطلاق الحرية لغول الإرهاب ليعبث بها أمام مرأى وصمت الرباعية ودول الإقليم والعالم، وموقفها وسلوكها العملي عما يجري في عدن، على غير العادة المعروفة في تعاطيها التاريخي ومواجهتها الشرسة والحاسمة ضد الإرهاب والجماعات الارهابية.

عدن تناشد العالم

الحرب ضد الإرهاب والجماعات الإرهابية مهمة دولية مشتركة لها طابع كوني ومفتوحة في مكانها وزمانها ووسائلها، ونحن كوطن وشعب من ضمن هذه المنظومة الدولية وفي الوقت ذاته ضحية الإرهاب، الذي يفتك بالأبرياء بشكل شبه يومي أمام صمت عربي ودولي مريب، وإن وجدت ردود فعل محدودة لا تتعدى إدانات صادرة من هذا السفير أو ذاك لا قيمة لها من منظور حاجتنا الماسة إلى حماية شعبنا من هذا الخطر الذي يفتك به.

نحن بحاجة إلى مواقف أخلاقية وإنسانية وحضارية مؤثرة، فالإرهاب هو الإرهاب والمواقف الإنسانية في التصدي له ومحاربته لا تتجزأ ولا تصنف وفق المصالح والحسابات السياسية الآنية.

صحيح، نحن في حالة حرب، وهي حرب هجينة ومركبة ومتداخلة جبهاتها وعناصرها وأهدافها ومشاريعها وأطرافها المباشرة وغير المباشرة.

ما يجري على أرض الجنوب اليوم يمثل أحد أشكال وتجليات هذه الحرب، حيث يتصادم مشروعان متناقضان: مشروع موجه لفرض الهيمنة والاستعمار الداخلي الشمالي للجنوب وتتبناه الشرعية الإخونجية وحليفها المتمثل بالجماعات الحوثية ومشروع آخر تحرري جنوبي مكرس من أجل فرض سيادة الشعب الجنوبي وحقه المشروع في تقرير مصيره على أرضه وجغرافيته واستعادة السيادة والدولة ويمثله المجلس الانتقالي ومؤسسات المجتمع المدنية وتيارات الحراك الجنوبي المختلفة.

ما تتعرض له عدن (كحاضرة مدنية وعاصمة تاريخية وحاضنة للقضية الجنوبية ورافعة اجتماعية وسياسية ونضالية لهذا المشروع التحرري) من حرب شاملة وحصار وتدمير وإرهاب، يتجاوز كل معايير وأخلاقيات الحروب المتعارف عليها أو الموثقة في جميع الاتفاقيات والمعاهدات والالتزامات الدولية الخاصة بذلك، والتي تجرم في الوقت ذاته استخدام الإرهاب والجماعات الإرهابية كوسيلة من وسائل الحروب التي تستهدف حياة الأبرياء وبالذات القاطنين خارج مسارح الأعمال القتالية.

من حق الشعب الجنوبي أن يطالب المجتمع الدولي ومؤسساته المختلفة بحمايته ومساعدته في مواجهة الإرهاب، ومن واجب الآخر النهوض بواجباته الإنسانية والحضارية في حماية الأبرياء ومكافحة الإرهاب والجماعات الإرهابية وأن لا تكون حربهم على الإرهاب والجماعات الإرهابية داخل بلدنا محصورة بمقتضى احتياجاتهم الأمنية الخاصة.